المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

نفي محمد بن يوسف (محمد الخامس) من طرف السلطات الفرنسية
–دراسة في ظروف وملابسات النفي ومواقف وردود الفعل المغربية والاسبانية.
Mohamed Bin Youssef (Mohammad V) denied by the French authorities - a study in the circumstances of exile, attitudes and reactions of Moroccan and Spanish.

رفيق تلي، أستاذ محاضر ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر-سعيدة-*

تاريخ الإرسال: 07 / 06 / 2020	تاريخ القبول: 14 / 07 / 2020	تاريخ النشر: 01 /08 / 2020

ملخص:

عاش محمد بن يوسف (محمد الخامس) حياة حافلة بالكفاح، وواجه مختلف المصاعب والعراقيل بمواقفه الوطنية فقدّم تضحيات كبيرة، وتحمّل أعباء المعارضة المستمرة للمشاريع الاستعمارية، فكان مخلصا لقضايا وطنه ووفيّا لشعبه، هذا الأخير (الشعب المغربي) الذي تلاحم معه في معركة تحرير المغرب الأقصى من ربقة الاستعمار ، وهو الأمر الذي أدى بالسلطات الفرنسية للبحث عن كيفية للتخلص منه، حيث قامت بمؤامرة ضدّه، فكان نفي السلطان وإبعاده في 20 أوت 1953، وبالتالي كان لنفي السلطان وعائلته وقع كبير في نفوس الشعب المغربي، فربط هؤلاء كفاحهم الوطني (الاستقلال) برجوع الملك، فكانت عودته في 30 أكتوبر 1955.

الكلمات المفتاحية: محمد بن يوسف، المغرب الأقصى، اسبانيا، النفي، السلطات الفرنسية.

Summary :

The first of the two countries to be elected is the first to be elected by the Assembly of the United Nations, which is the first to be elected by the Assembly of the United Nations. The French authorities were responsible for finding ways to get rid of him, as they had a conspiracy against him, and the Sultan was exiled on 20th of 1953. The first of the four major political groups in the country was the National Assembly of the People of Morocco, which was founded in 1955.

Keywords : Mohamed BenYoussef, Morocco Al-Aqsa, Spain, exile, French authorities.

* رفيق تلي، أستاذ محاضر، جامعة الدكتور مولاي الطاهر-سعيدة، تاريخ. rafik.telli87@gmail.com

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مقدمة:

يعتبر محمد بن يوسف (محمد الخامس) أحد صناع التاريخ البارزين في القرن العشرين حيث عاش حياة حافلة بالكفاح، وواجه مختلف المصاعب والعراقيل بمواقفه الوطنية فقدّم تضحيات كبيرة، وتحمّل أعباء المعارضة المستمرة للمشاريع الاستعمارية، فكان مخلصا لقضايا وطنه ووفيّا لشعبه هذا الأخير الذي تلاحم معه في معركة تحرير المغرب الأقصى من ربقة الاستعمار إلى أن تحقق النصر والاستقلال تحت قيادته.

والهدف من إجراء هذه الدراسة هو إبراز ملابسات وظروف نفي محمد بن يوسف من طرف السلطات الفرنسية مع الكشف عن ردود فعل المغرب الأقصى على نفي ملكهم، ونبيّن مكانة الملك في أوساط المجتمع المغربي، مع تيبان موقف اسبانيا بحكم أنّها شاركت فرنسا في احتلال المغرب الأقصى.

وبحكم دراستنا سنركز على المؤامرة الفرنسية ضدّ محمد بن يوسف وظروف وملابسات نفيه. ومنه طرحنا الإشكالية التالية: فيما تمثلت ظروف نفي الملك محمد بن يوسف؟ وما هي أهم المواقف وردود الفعل المغربية والاسبانية على هذا النفي؟.

وعليه وارتباطا بالقضايا المطروحة سلفا، كان من الضروري طرق الموضوع، وفي محاولة منّي للإجابة على التساؤلات التي طرحتها، فإنّني اعتمدت في معالجة مضمون هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي وكذا المنهج الوصفي الذي تفرضه متطلبات بناء الواقعة التاريخية في قالبها الأكاديمي المنهجي.

1. مولد ونشأة محمد بن يوسف (محمد الخامس):

ولد "محمد بن يوسف" بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف يوم الجمعة 23 رجب 1327هـ الموافق لـ10 أوت1909[1] بالقصر الملكي بمشور الدكاكين بفاس[2]، غير أن هناك اختلاف حول تاريخ ميلاده فالبعض يجعل مولده سنة 1329هـ الموافق لسنة1911م، بينما حدّد البعض الآخر مولده سنة 1328هـ الموافق لسنة 1910م، أما الفئة الثالثة والأخيرة فأثبتت تاريخ ميلاده بيوم الجمعة 23 رجب 1327 هـ الموافق لـ 10 أوت 1909، والمرجح أن التاريخ الأخير والذي ذكرناه سابقا أكثر دقة وأقرب إلى الصواب[3].

لقد اعتُمد هذا التاريخ رسميا عندما تم الاحتفال بعيد ميلاد "محمد بن يوسف" بعد الاستقلال[4]، كما أنّ الملك "الحسن الثاني" قال:" كان أبي سيدي محمد قد بلغ من العمر ثمانية عشر

[1]- عبد الحق المريني، ملحمة محمد الخامس، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، المغرب، 2013، ص21.

[2]- عثمان إسماعيل، ضريح محمد الخامس، ط1، المجلد الأول، المطبعة الملكية، الرباط،1997، ص216.

[3]- محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى طنجة 09-13 أبريل 1947، ط1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كنابرانت، الرباط،2007، ص19.

[4]- جريدة العلم بتاريخ 10 أوت 1957، و انظر أيضا عبد الحق المريني "محمد الخامس –دراسات وشهادات"،الرباط، 1988، ص41.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

عندما نودي به يوم الجمعة الثامن عشر من نوفمبر 1927م سلطانا على المغرب "[5]، ومن المعلوم أن أخاه الحسن يكبره بأربعين يوما، وجاء في تقرير "تيودورستينغ" المقيم العام الفرنسي بالمغرب الأقصى إلى وزارة الخارجية الفرنسية أنّ عمره 18 سنة يوم توليه العرش، ونفس الشيء أثبته قنصل هولندا بالمغرب في برقيته إلى وزارة خارجيته.

وإذا كان هناك اختلاف حول تاريخ ميلاد "محمد بن يوسف"، فالكل يتّفق على أنّ مسقط رأسه هو القصر الملكي، وأنه هو الابن الثالث للأمير "مولاي يوسف"[6].

وبعد استقلال المغرب الأقصى سنة 1956، كان عاهل البلاد قد أصبح معروفا بالملك "محمد الخامس"[7]، إنه اسم الشهرة الذي اشتهر به أيّام المنفى بعد أن عزلته سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب الأقصى عن عرشه سنة 1953، وهو ما جعل الاسم القديم "السلطان محمد بن يوسف" يختفي رويدا رويدا وبصفة رسمية بعد إعلان استقلال المغرب الأقصى، وتغيير اسم العاهل المغربي ولقبه في هذا الوقت بالذات كان له دلالة عميقة، كما كان تعبيرا عن نهاية عهد الحجر والحماية وبداية الحرية والاستقلال[8].

نشأ "محمد بن يوسف" تحت رعاية والده السلطان يوسف[9]، حيث تربّي وترعرع في أحضان الأسرة الملكية التي انتقلت من فاس للعيش في العاصمة الجديدة الرباط وسنُّه آنذاك لا يتجاوز ثلاث

---

[5]- الحسن الثاني، ملك المغرب، التحدي، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص25.

[6]- تولّى والده المولى "يوسف" العرش في 12 أوت 1912، لما تخلّى أخوه السلطان "عبد الحفيظ" عن العرش(1908-1912) في جو مشحون، و هذا بعد أن وقع مكر الفرنسيين من فرض الحماية يوم 30 مارس 1912، وفي هذه الظروف الصعبة والحالكة من تاريخ المغرب الأقصى التي انتقل فيها المغرب الأقصى من دولة مستقلة إلى دولة محمية، أي أن "محمد بن يوسف" قد عاصر فترة الحماية وهي حكم الفرنسيين والأسبان على المغرب الأقصى، والتي امتدّت من 30 مارس 1912 إلى 18 نوفمبر 1955، أما فيما يخص والدة "محمد بن يوسف" هي" الياقوت"، مسلمة من الحوز جنوب المغرب الأقصى، كانت سيّدة فاضلة اهتمت بتربية أبنائها الأمراء وكانت حريصة عليهم، توفيت بفاس يوم الثلاثاء 07 سبتمبر 1953 حزنا على نفي ابنها، ودفنت بجوار زوجها السلطان "مولاي يوسف" بضريح مولاي عبد الله بفاس، أنظر عبد الحق المريني، المرجع السابق، ص ص 21-22. و أنظر محمد العلمي، محمد الخامس وتاريخ استقلال المغرب،ط 2، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقامين وجيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2011، ص37. وأنظر ايضا عبد الوهاب بن منصور، الحسن الثاني حياته وجهاده ومنجزاته، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1969، ص44.

[7]- وقد لقب بالخامس يعني أنه كان خامس عاهل مغربي من الأسرة العلوية يسمّى محمدا أنظر: مولاي هاشم العلوي القاسمي ، محمد الخامس رجل الدولة المغربية الحديثة، ندوتان علميتان حول محمد الخامس والكفـــاح الوطني من أجل الاستقلال، الثقافة الوطنية في خدمة المواطنة، الرباط 30 نوفمبر 2005، 16نوفمبر 2005. منشورات المندوبة السامية لقدماء المقاومين و جيش التحرر، مطبعة كانابرانت، الرباط،المغرب،2005.، ص29.

[8]- محمد الناصري، المرجع السابق، ص ص18-19.

[9]- عبد الله بن أحمد الحقيل، الملك محمد الخامس بطل التحرير، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد 16-20 نوفمبر 1987، تنظيم جمعية رباط الفتح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص257.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

سنوات[10]، إذ اهتم السلطان يوسف بتربية أبنائه الأمراء، كما حرص على تعليمهم عندما بلغوا سن التمدرس[11]، رغم المناهج التي كانت قد وضعتها فرنسا للتعليم[12].

وجريًا على تقاليد عريقة في القدم التي درج عليها ملوك المغرب فيما يتعلق بتربية الأمراء وتعلّمهم بهدف صقل مواهبهم وتهذيبهم وإعدادهم لمزاولة ما سوف يسند إليهم من مهام الدولة الكبرى، أدخل الكتاب القرآني بدار المخزن في سن مبكرة حيث تولى ثلة من الفقهاء المرموقين تلقيهم المبادئ الأولى في تهجية ورسم الحروف[13]، كما عيّن لهم أساتذة مرموقين، وبدأوا بحفظ القرآن الكريم وتلقّى بعض الدروس الدينية والمبادئ العلمية[14].

وعن عناية السلطان يوسف بتربيّة "محمد بن يوسف" يقول مؤرّخ مكناس"عبد الرحمن بن زيدان" مايلي:"... ولما استولى والده واتّخذ رباط الفتح عاصمة الإمارة والإدارة، نقل محمد بن يوسف مع جلّ إخوته، وعيّن لهم مكتبا خاصا بهم داخل قصره السعيد وأساتذة ملازمين لهم إلى أن حفظوا القرآن الكريم، وآنس منهم التأهل لأخذ العلوم الدينية، ودرس اللغة العربية والفرنسية، فعين لهم أساتذة للقيام بهذا الواجب..."[15].

وقد ارتأى السلطان بعد ذلك تعليم أبنائه اللغة الفرنسية بإيعاز من الجنرال ليوطي، فعيّن أستاذا مقتدرا وهو "محمد معمري الجزائري"، الذي كان قد نزح إلى المغرب الأقصى سنة 1908 وفتح مدرسة عربية فرنسية بالرباط، حيث انضم "محمد معمري" إلى أساتذة القصر ليقوم بتلقين الأمراء الصغار الفرنسية وآدابها[16]، جاعلا نصب عينهم أن يريهم فرنسا كما هي علما وحضارة ويحببها إليهم، فلم يمض زمن يسير حتى بدت نجابة "محمد بن يوسف" من بين أقرانه فاهتم به "محمد معمري"[17].

وبعد أن تمكّن من استظهار القرآن الكريم شرع في دراسة المتون التي تتضمن القواعد الأساسية في اللغة،والنحو، وعلوم الدين، وبالطبع كل هذه المواد التي كان يدرسها "محمد بن يوسف" هي موروثه عن القرون الماضية، اللهم ما كان من درس اللغة الفرنسية الذي تولّى القيام به في مرحلة أولى "قدور بن غبريط" ثم فيما بعد الفقيه المعمري، ومن هذه المؤلفات المنشورة أو المنظومة التي كان يدرسها

---

[10]- الغالي العراقي، الملك محمد الخامس سياسة التحرير بين فن الممكن والمستحيل،ط 1، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 2003، ص23.

[11]- محمد الناصري، المرجع السابق، ص20.

[12]- عبد الله بن أحمد الحقيل، المرجع السابق، ص257.

[13]- زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن يوسف 1927-1956 فترة الحماية الفرنسية والاسبانية،ج3، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، الرباط، 2009، ص15.

[14]- محمد الناصري، المرجع السابق، ص20.

[15]- زين العابدين العلوي، المرجع السابق، ص15-16.

[16]- أصراف روبير، محمد الخامس واليهود المغاربة،تر علي الصقلي ومحمد كلزيم،الدار البيضاء، 1997،ص46.

[17]- محمد الناصري، المرجع السابق، ص20.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

"محمد بن يوسف" ويحفظ قطعا منها: ألفية ابن مالك في النحو، والمرشد المعين لابن عاشر في العبادات، وهمزية البوصيري كمتن أدبي للتوسل وللشرح اللغوي [18].

وفي مرحلة موالية، عمل أساتذة "محمد بن يوسف" على تدريسه عددا من النصوص الأساسية كـ "موطأ مالك" و"صحيح البخاري" في الحديث النبوي، ونصوص أخرى في قواعد الأصول كـ"جمع الجوامع" للسّبكي و"مختصر" للسعد التفتازاني في العقائد، ولاشك أنّ تعليمهم في مختلف أسلاكه كان لا يختلف كما كان يتلقاه طلاب القرويين مثلا، في نفس الفترة أي أن الأمر يتعلّق بتعليم تقليدي، لا يخرج عن دائرة ما ألّفه المغاربة في المرحلة الأولى من تنشئته وتعلّمه، علما بأنّ المواظبة على متابعة الدروس والانضباط داخل حجرة الدّرس وأداء التمارين والفروض في مواعدها وأداء الصلوات الخمس في أوقاتها، كلّها أمور كان "محمد بن يوسف" وإخوته يحاسبون على مدى احترامهم لها مراعاتها وعدم الاستهانة بها، وكان والدهم السلطان "يوسف" يتتبّع وباستمرار سلوكهم وسير عملهم في القسم وخارجه، ودرجة استفادتهم من الدروس، اقتناعا منه بأن الثقافة المغربية الأصيلة التي يحرص على تلقينها لأبنائه، مهما تكن مداركهم الأخرى، تعتبر ذرعا ثمينا من الذروع الواقية من سموم وسلبيات سياسة الاستعمار [19].

لقد كان "محمد بن يوسف" وإخوته الأمراء تحت نظر وإشراف والدهم المباشر، يراقب تربيتهم وتعليمهم، ولم يدّخر وسعا في تدريبهم وتهذيبهم، وذلك بأخذهم معه في جل حركاته وتنقلاته، وهو ما جعلهم يقفون عن كثب على مجريات الأمور في البلاد رغم حداثة سنهم، نظرا لكثرة ترحالهم مع والدهم السلطان.

2. نظرة عامة عن بداية نضال محمد بن يوسف ومواجهته لسلطات الحماية الفرنسية:

كان جلوس "محمد بن يوسف" على كرسي العرش وعمره ثمانية عشرة سنة، والبلاد تحت عبء ثقيل من وطأة الاستعمار [20]، فتنفّست أقطاب الحماية الصعداء [21]، حيث اعتقد المقيم العام "تيودور ستيك" ومشاوره، أنّهم وجدوا ضالّتهم المنشودة في السلطان الشاب أصغر أبناء السلطان الذي قضى مراحل طفولته منعزلا عن مشاغل السياسة [22]، وظنّوا أنّ موعد الكشف عن نواياها الاستعمارية

[18] - عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مدينة مكناس،ج3، المطبعة الوطنية، الرباط، (د.ت)،ص119.

[19] - مصطفى الشابّي، ملامح شخصية محمد الخامس من خلال بعض الكتابات الأجنبية، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد، 16-20 نوفمبر 1987، تنظيم جمعية رباط الفتح ،مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1988، ص ص326-330.

[20] - عبد الله كنون، الملك والإنسان، الندوة الدولية حول محمد الخامس، الملك الرائد، 16-20 نوفمبر، 1987، تنظيم جمعية رباط الفتح، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1988، ص75.

[21] - عبد العزيز بن عبد الله، خليفات المبادرات البطولية لمحمد الخامس، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد، 16-20 نوفمبر، تنظيم جمعية رباط الفتح، مطبعة فضالة ، المحمدية، المغرب، 1988، ص158.

[22] - أحمد البوزيدي، المواقف الوطنية للسلطان محمد الخامس من خلال الكتابات المغربية، ندوتان علميتان حول محمد الخامس في الكتابات الوطنية والأجنبية، محمد الخامس من المنفى إلى بناء الدولة الجديثة، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، دار أب رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007، ص115.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الحقيقية قد آن وأنّ ساعة الانتقال من فترة الحكم غير المباشر إلى نظام الإدماج العلني دقّت، وأنّ وقت جني الثمار الاستغلالية قد حل[23].

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل سيكون السلطان محمد بن يوسف عند حسن ظن سلطات الحماية؟ أم أنّه سوف يتصدّى للمخطّطات الاستعمارية التي كانت سلطات الحماية تسعى إلى تطبيقها بالبلاد؟.

إنّ السلطات الاستعمارية الفرنسية وعلى رأسها المقيم العام الفرنسي "تيودور ستيك" بالمغرب الأقصى الذي كان يطمح إلى أن يكون "محمد بن يوسف" هو سلطان المغرب، وبالفعل تمكّن في الأخير بفضل مظاهر الصراع التي كانت بين الصدر الأعظم "الحاج محمد المقرّي" والحاجب "التهامي عبابو" من تحقيق رغبته في اختيار "محمد بن يوسف"،حيث يتّفق المؤرخون والسياسيون على أن تزكية المستعمر لمبايعة "محمد بن يوسف" ملكا للمغرب نابعة من أطماعه في الهيمنة على الملك الشاب اعتقادا منه في إمكانية تطويعه لأهداف ومراميه ونواياه المبيتة، إلّا أنّ الملك الشاب كان متشبّعا منذ صباه بالثّقافة العربية الإسلامية والإخلاص للوطن، وبقناعته بوجوب رفع المعاناة عن شعبه وانتشاله من براثن الاحتلال وتوحيد ترابه، ولقد عبّر عن ذلك من أوّل وهلة إثر اعتلائه عرش أسلافه [24]، حيث جاء في أوّل خطاب له في 18 نوفمبر 1927 مايلي: "...إنّ الشعب المغربي ينتظر منّا مجهودا متواصلا لا من أجل تنمية سعادته المادية فحسب، بل وكذلك لنكفل له الانتفاع من تطور فكري ينسجم مع احترام عقيدته ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عالية في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة، ولقد صمّم "محمد بن يوسف" منذ ذلك الحين على الدفاع عن سيادة بلاده واسترداد ما ضاع منها قائلا "...لن أتنازل بعد اليوم عن حق من حقوقنا..."[25].

ونلمس من خلال هذا الخطاب تلميحا وتصريحا موجّها للرأي العام الوطني والدولي لما يطمح إليه ملك البلاد، الذي انطلق في ممارسته للحكم، وهو مطوق بعقد الحماية المبرم سنة1912، وسيعمل على توسيع هذا الحيّز الضيّق من الشرعية في محاولة خلق شروط التصدّي للأمر الواقع الذي فرضته الحماية الفرنسية.

فلقد كانت السنوات الثلاث الأولى من جلوسه على العرش، محكا وامتحانا مزدوجا للشخص "محمد بن يوسف"، وفي أطوار هذا الامتحان، بدأ "محمد بن يوسف" يعي مبكّرا أنه بات أمام اختيارين

[23]- إبراهيم بوطالب، مكانة محمد الخامس في تاريخ المغرب، الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد، 16-20 نوفمبر 1988، ص205.

[24]- الحسين برادة، محمد الخامس ومواقفه السياسية لإنقاذ المغرب من ظلام حكم الحماية، ط1،مطبعة الأمنية، الرباط،2006،ص 27.

[25]-عبد الحق المريني، المصدر السابق، ص27.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لا ثالث لهما: إمّا أن ينقاد لسلطات الحماية فتفعل به وبوطنه وبشعبه ما تشاء، وإمّا أن يتصدّى للأمر الواقع فيدخل في مواجهات مع المتآمرين الذين دسهم له الاستعماريون ليحيطوا به من كل جانب وليحصلوا عليه أنفاس ملكه ويبعدوه عن الانشغال بأحوال شعبه[26].

وكانت هذه الثلاث سنوات كافية ليحسم "محمد بن يوسف" اختياره الاستراتيجي، وهو رفض السياسة الاستعمارية التحكيمية والدّفاع ما استطاع عن المصالح العليا والحيوية لبلده وشعبه، وبفضل هذا الاختيار والتوجّه الوطني عرف كيف يختار التكتيك المناسب لكل محطة استعمارية ليجعل مواجهتها تصب في الإستراتيجية الوطنية[27].

وهذا ما سيتيح للسلطان "محمد بن يوسف" استثمار ما عاشته البلاد من أحداث لتصليب وتنمية الوعي بالذات والنّهوض بالمسؤوليات والانخراط في مواجهات مع أقطاب الحماية.

3. المؤامرة الفرنسية وظروف وملابسات نفي محمد بن يوسف:

لقد شكّل قدوم الجنرال "جوان"[28] المقيم العام لفرنسا بالمغرب الأقصى في ماي 1947 بداية لما اصطلح المؤرخون على تسميته بأزمة العلاقات الفرنسية المغربية[29]، هذا بعد إقالة المقيم العام "إيريك لابون" الذي اعتبرته السلطات الفرنسية مخفقا في إحباط الزيارة الملكية "لمحمد بن يوسف" إلى طنجة سنة 1947، ومنذ ذلك الحين بدأت السلطات الفرنسية تدبّر مؤامرات واسعة النّطاق، فكان من أقوى هواجس الجنرال "جوان" وأولويته ومخططاته إزاحة السلطان عن العرش، وقد نال المقيم العام الجديد دعما غير محدود من قبل الحكومة الفرنسية[30] من خلال جمع الانتهازيين، وتأسيس أحزاب مصطنعة تعمل بإرشاداتها وأخذت تزرع الفتن وتنشر المناشير[31]، فاستغل الجنرال "جوان"ولايته بإعادة صياغة أسلوب التعامل مع القصر الملكي، وهكذا أطلق العنان لترسانته القمعية وتهديده ووعيده باستبدال الملك الشرعي بملك آخر إذا لم يساير مخططه الفرنسي الجاهز[32].

وكان من أهداف الإصلاحات المزعومة التي قدّمها المقيم العام"جوان" فتح قناة مرنة لتمرير مشاريع الظهائر الإصلاحية الملغومة عن طريق الصدر الأعظم الحاج "محمد المقري" بأسلوب التفويض في الإمضاء للتمكّن من استلاب العرش من كل صلاحياته في توقيع الأحكام الصادرة باسم السلطان، ورخّص التنقيب عن المعادن وإصدار التشريعات المكرّسة للوجود الاستعماري، وما لبث المقيم العام

---

[26]- الغالي العراقي، قصة صمود محمد الخامس في وجه الإعصار وتحقيق الانتصار على الاستعمار، المرجع السابق، ص19.

[27]- الغالي العراقي، المصدر السابق، ص20.

[28]- الجنرال ألفوس جوان مقيم عام بالمغرب من ماي1947 إلى جويلية1951، انظر عبد اللطيف جبرو، المصدر السابق، ص223.

[29]- الشيخ محمد ولد الشيخ سيديا، الحسن الثاني ملك التحدي،ط1،مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000، ص103.

[30]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص 58.

[31]- الشيخ محمد ولد الشيخ سيديا، المرجع السابق، ص103.

[32]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص 58.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

"جوان" أن تذرّع بدمرقطة النظام واتّجه إلى تبديل نظام الحماية بنظام يتقاسم فيه المغاربة والفرنسيون تسيير شؤون البلاد، وذلك طبقا "لتنظيمات جديدة لحكم المغرب تحوّله إلى حكم مزدوج السيادة، على أن يتقاسمها أعضاء الجالية الفرنسية بالتّساوي مع المواطنين المغاربة"[33]، وفي ذلك ما فيه إذ كيف يساوي عدد ممثلي الفرنسيين وهم قلة مع عددها يمثّلون سكانا يربو عددهم على تسعة ملايين نسمة، كما أنّ العملية في حدّ ذاتها لم تكن تعني سوى التمكّن من المغرب سياسيا والسّطو على سيادته والانتقال به من مرحلة الحكم المباشر إلى الإدماج في الإتّحاد الفرنسي.

غير أنّ السلطان "محمد بن يوسف" تصدّى لكل هذه المناورات إمّا بالرفض أو الاستنكار أو المقاومة، إلى أن بلغ التصعيد أوجه بين القصر والإقامة العامة، وبدأت بوادر التربّص بالسلطان تبرز بشكل مفضوح وملفت للنظر، ومنذ رحلة طنجة ظل السلطان يواصل جهودا حثيثة من أجل دفع الحكومة الفرنسية لمراجعة معاهدة الحماية وجعل حد للسيطرة الأجنبية في البلاد[34].

وفي نفس السياق سافر السلطان"محمد بن يوسف" إلى فرنسا في أكتوبر 1950، أين أجرى محادثات رسمية في قصر الإليزي بين السلطان ورئيس الجمهورية الفرنسية " فانسون أوريول" ورئيس الحكومة "روني بليفن" ووزير الخارجية" موريس شومان " والمقيم العام الجنرال "جوان"، حيث أبانت هذه المحادثات عن تصلّب وسلبية المواقف الفرنسية والجواب على المذكّرة التفصيلية التي تقدّم بها السلطان بعد المذكّرات التمهيدية كانت فارغة ولم تستهدف المبتغى الأسمى[35].

وفحوى هذه المفاوضات والمجهودات هي التي سيعمل السلطان"محمد بن يوسف" على شرحها وتقديمها مفصّلة لشعبه في خطاب العرش سنة 1950، نقتطف منه هذه الفقرات"....ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التي أجريناها بفرنسا أن نظفر بتقوية سلطتنا لغاية شخصية وإنّما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقيها وتقدّمها..."[36].

على كلّ فقد انطلقت الشرارة الأولى لهذا النّزاع سنة 1951، حينما انعقد مجلس شورى الحكومة في الرباط لمناقشة الميزانية، وجلس جنبا لجنب رجال الإدارة الفرنسيون القابضون على زمام الأمور في المغرب وأعضاء المخزن أي الحكومة المغربية الصورية وكبار الباشوات والقواد، بالإضافة إلى أعضاء حزب الاستقلال المطالبين بوضع نظام للمغرب يضمن للمغاربة حرّيتهم الفردية وحقوقهم الديمقراطية، وكان النّقاش حادا بين المقيم العام وأعضاء حزب الاستقلال الذين عبّروا عن آرائهم بروح نقدية حول السياسة الاقتصادية والسياسية المتّبعة من طرف سلطات الحماية، وهو ما لم

[33]- عبد الهادي بوطالب، ذكريات .... ، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993، ص448.
[34]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص ص 58-59.
[35]- محمد العلمي، المصدر السابق، ص ص 67-68.
[36]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص ص 59-60.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يعجب المقيم العام فقام بطرد "محمد الغزاوي" فانسحب الآخرون معبرون عن تضامنهم مع زميلهم المطرود[37].

وبمناسبة عيد المولد النبوي وأثناء تقديم التهاني، حرّكت الإقامة العامة أحد بيادقها وهو من الباشاوات المعروفين"التهامي الكلاوي" وبعثته شاكيا متذمّرا، ليتكلّم مع السلطان "محمد بن يوسف" بوقاحة في حق أولئك الوطنيين، فما كان من السلطان إلّا أن طرده وهو ما لم يستسغه الجنرال "جوان"، هذا الأخير الذي وجّه بتاريخ 26 يناير 1951 إنذارا للسلطان "محمد بن يوسف" يدعوه فيه[38] إلى حد للإضراب عن الإمضاء على مشاريع الظهائر، وأن يصدر تصريحا ملكيا يدين فيه حزب الاستقلال ويتبرأ منه وإلّا سيعمل على عزله عن العرش والسلطنة فلم يستجب السلطان "محمد بن يوسف" ولم يعبأ بتهديده ولم يتبرأ من أحد، لأنّه كان يعتبر نفسه سلطانا لكافة المغاربة، وليس سلطان رجال الحركة الوطنية الذين هم جزء من الشعب المغربي، وقد خاطبه السلطان "محمد بن يوسف" بخطاب شديد اللّهجة قائلا له:" أيّها الجنرال لسنا هنا في ميدان استعراض يكفي أن تصدر فيه الأوامر لتطاع "، وقد خاطبه أيضا بقوله: " إنّنا نرفض التنازل عن العرش لأسباب دينية ودستورية وسياسية ... فكرامة المغاربة من كرامتنا وشرفهم من شرفنا، ولن نفعل قط ما يدنّسها".

وللمزيد من الضّغط على السلطان "محمد بن يوسف" لتغيير مواقفه الصامدة، وضع الجنرال "جوان" رجال الحركة الوطنية في السّجون والمنافي وحاصر قصره، ولكن السلطان بقي متشبّثا بموقفه إلى أن مرت العاصفة بسلام ورجع الجنرال"جوان" بخفي حنين وغادر المغرب الأقصى من غير رجعة بعد عزله وإبعاده في سبتمبر1951[39]، وبذلك فشل في المؤامرة التي دبّرها مما جعل تغييره واجبا، فحل محله ضابطا آخر هو الجنرال "غيوم" [40] الذي كان همه أن يواصل ما بدأه سلفه "جوان"، وليكمل الخطة التي رسمها المقيمون السابقون بمن فيهم الجنرال"جوان"، ويقول: "...إنّ لي أعداء في المغرب، وإنّني أعدوهم عندي ... فإن أتو سامحتهم ...أما الذين لا يأتون فسألقنهم بالقوة ...إنّني مصمم على العمل مع أصدقائي بكل محبة ... أمّا خصومي فسأحاربهم بكل شدّة إلى أن يأكلوا التبن"[41].

ومن هذا المنطلق بدأ الجنرال "غيوم"في نسج المناورات الواحدة تلوى الأخرى قصد الإبقاء على السيادة الوطنية منقوصة وهو مالم يقبل به الشعب المغربي بإعلانه مقاطعة انتخابات الغرف المغربية الاستشارية المنظمة من طرف الإقامة في 27 أكتوبر 1952، وقد انفجرت اضطرابات غاضبة بالدار البيضاء خلفت خمسة قتلى وأربعين جريحا، وفي يوم 14 مارس من نفس السنة سيرسل "محمد بن

---

[37]- محمد العلمي، المصدر السابق، ص ص 68-69.

[38]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص61.

[39]- عبد الحق المريني، المصدر السابق، ص ص 44-46.

[40]- الجنرال أوغيستان غيوم مقيم عام فرنسي بالمغرب من أكتوبر إلى جوان 1954، انظر عبد اللطيف جبرو، ايكس ليبان ملفات وحقائق، 2002.، ص 223.

[41]- الغالي العراقي، الملك محمد الخامس سياسة التحرير بين فن الممكن والمستحيل، المصدر السابق، ص ص 117-119.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يوسف" مذكّرة جديدة إلى باريس داعيا فيها فرنسا إلى تمكين المغاربة من الحريات العامة والاعتراف لهم بحقّهم في تكوين النقابات وتمتيع الغرب بحكومة ذات صبغة تمثيلية تشكّل من قبل الدولة المغربية والإسراع ببدء المفاوضات من أجل الاستقلال[42].

غير أنّ فرنسا اقترحت نهج سياسة التبعية المشتركة التي تعني إقامة إدارة ومجالس مشتركة وبدء المفاوضات انطلاقا من مقتضيات معاهدة فاس، وهي المقترحات التي رفضها السلطان "محمد بن يوسف" لأنّها تنزع عمليا في روحها واتّجاهاتها إلى اقتسام السيادة المغربية، معبرّا عن وجهة نظره الصريحة التي كانت تتماشى مع تطورات الشارع المغربي الذي اختار بدوره خيار المواجهة لدعم بطل الأمة وتقوية الترابط بين العرش والشعب، ونقل المواجهة إلى أشكال كفاحية أرقى[43].

وهكذا بتعيين الجنرال "غيوم" خلفا للجنرال "جوان"اشتدت الأزمة وتأجج لهيبها بازدياد تمسك السلطان "محمد بن يوسف" بمواقفه، وإلى جانبه الحركة الوطنية بكل قواها إزاء المواقف الاستعمارية المستبدّة والطاغية.

كان الشعب المغربي على موعد مع ملكه يوم 18 نوفمبر 1952، حيث ألقى السلطان "محمد بن يوسف" خطابا بمناسبة ذكرى عيد جلوس الملك على العرش ذلك بمرور 25 سنة، وقد تميّز خطابه بوضع حد لأطماع فرنسا الاستعمارية وهمجية مقيمها [44]، وممّا جاء في الخطاب يقول "الحسن الثاني" في كتابه التحدي أنّه: "...انتقد بمرارة نظام الحماية الذي شبهه بقميص فصل لطفل كان صغيرا ولكنه الآن كبر ونما وتقدّم، ومع ذلك يُصرون على الاحتفاظ بهذ القميص الذي قصر وضاق كثيرا ..." ثم يقول محددا بوضوح: "...إذا كانت الحماية قد قدّمت منذ قيامها نتائج ملموسة على الصعيد الاقتصادي، فإنّها لم تقدّم شيئا من هذا على الصعيد الاجتماعي ولا على الصعيد السياسي لما يتّفق مع مقتضيات تفكير العصر الحديث، ومع تطور الشعب المغربي..."[45].

تجدر الإشارة إلى أنّه بعد المذكّرات التي قدّمها السلطان "محمد بن يوسف" للحكومة الفرنسية، وبعد خطاب العرش ازداد التوتر وأُعلنت الإضرابات ونُظّمت المظاهرات بالمغرب خاصة بالدار البيضاء للتعبير عن التضامن مع الشعب التونسي بعد اغتيال الزعيم النقابي "فرحات حشاد" في 08 ديسمبر 1952، وقد دعا إلى الإضراب الإتحاد العام لنقابات العمال في المغرب [46]، حيث اتّخذت سلطات الاحتلال هذا الحديث ذريعة لإطلاق العنان لجيشها في المدينة يرتكب فيها قمعا وحشيا، فأودى بحياة المئات من العمال العزّل، وهكذا انطلقت المؤامرة فحصل في كل من الرباط ومكناس وفاس والقنيطرة

[42] - محمد العلمي، المصدر السابق، ص 76.

[43] - الحسين برادة، المصدر السابق، ص 62.

[44] - الشيخ محمد ولد الشيخ سيديا، المرجع السابق، ص 116، وأنظر أيضا علي منير العلوي، محمد الخامس ...ورأيناه في القمر، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص97 .

[45] - الحسن الثاني، المصدر السابق، ص 74 .

[46] - الشيخ محمد ولد الشيخ سيديا، المرجع السابق، ص 117 .

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وبني ملال وغيرها مظاهرات، وانتهزت السلطة الفرصة فألقت القبض على جل المسيرين والمسؤولين من حزب الاستقلال تمهيدا لتنفيذ مؤامرة الجنرال "جوان" الهادفة إلى عزل السلطان "محمد بن يوسف" عن العرش.

4. نفي محمد بن يوسف (محمد الخامس):

ففي 13 أوت 1953، قدّمت الإقامة إلى السلطان وثيقة من الحكومة الفرنسية عرفت في لغتهم يومئذ بـ"بروتوكول 13 أوت " تُجرّد السلطان من صلاحياته كسلطان، ومن حقوقه السياسية، وطُلب منه تحت الضغط والتهديد أن يوقّع عليها، يقول "الحسن الثاني" في هذا:" ... وهكذا اضطرّ والدي إلى التوقيع على بروتوكول حقيقي، يُقر السيادة المشتركة ظانًا أنّه بذلك سيحافظ على الوحدة المغربية حتى النهاية، ويضيف "الحسن الثاني"قائلا:" ...وفي مساء اليوم نفسه أبلغنا الجنرال غيوم أن العلاقات بين الإقامة العامة والقصر قد قُطعت، وكان معنى ذلك أنّ فرنسا لم تعد مكلفة بتأمين سلامة السلطان وعائلته، كما تقضي بذلك معاهدة فاس..."[47].

وفي نفس السياق عقد العملاء اجتماعا يوم 14 أوت 1953 بمنزل "الحاج التهامي الكلاوي" بمراكش ضم أعضاء المجلس الأعلى للحركة الكلاوية ومبعوث من الإقامة العامة " فالا "و" بونيفاس " رئيس ناحية الدار البيضاء و" دهوتفيل "رئيس ناحية مراكش وكان" فيمون" مبعوث الحكومة الفرنسية الذي جاء إلى مراكش ليطّلع على ما يجري في الغرب [48]، حيث تقرّر في هذا الاجتماع على خلع السلطان "محمد بن يوسف" ومبايعة صنيعة الاستعمار "محمد بن عرفة" [49]، وبدأت المؤامرة بإعلان "محمد بن عرفة" إماما على المغرب بمعنى أنّه يهتم فقط بأمور الدّين لا بأمور السياسة[50].

وفي محاولة لتبرير فعلته، أصدر الجنرال "غيوم" بصفته المقيم العام الفرنسي بيانا رسميا يوضّح فيه موقف السلطات الحمائية اتّجاه خلع "محمد بن يوسف" وتتويج "ابن عرفة" ملكا على المملكة المغربية مؤكّدا أن هذا التتويج جاء وفقا للأعراف المغربية الجاري بها العمل، ومدّعيا وجود تناقض بين السلطان وشعبه ممّا أدّى إلى خلعه ومستغلًا موقف الباشوات الذين كانوا متّفقين ومؤيّدين للقرار الذي اتّخذته فرنسا إزاء ملك المغرب الشرعي مثل موقف "الكلاوي" الذي وصف هذا القرار بكونه

[47] - زين العابدين العلوي، المرجع السابق، ص 309 .
[48] - محمد العلمي، المرجع السابق، ص 80 .
[49] - قاسم الزهيري، محمد الخامس الملك البطل، دار النشر التقنية للشمال الإفريقي، الرباط، المغرب، (د.ت)، ص 137 .
[50] - محمد العلمي، المصدر السابق، ص 81 .

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

حازما ويستجيب لرغبة الشعب المغربي، كما أنّه يدعم الاعتبار الفرنسي والتآلف المغربي-الفرنسي لصالح البلاد[51].

وبمجرّد وصول خبر عزل السلطان خرجت الجماهير الشعبية في مراكش واصطدمت بالشرطة الفرنسية اصطداما عنيفا، حيث أمر الحاج "التهامي الكلاوي" أتباعه بالتنكيل بهم وتعذيبهم، وأصدرت سلطات الحماية بيانا قالت فيه: "...إنّ المغرب يجب أن يصبح منذ الآن مملكة دستورية يكون فيها السلطان يملك ولا يحكم" فعمّت المغرب الأقصى موجة الاعتقالات على إثر المظاهرات المتوالية في مختلف المدن المغربية في الرباط، وسلا، ومكناس حيث تعرّض قصر "الكلاوي" في مراكش لمحاولة إحراق، أمّا السلطان "محمد بن يوسف" فقد حوصر في قصره بالرباط[52].

وفي يوم 20 أوت 1953، وقد صادف ذلك يوم عيد الأضحى، والرباط محاصرة عندما كانت الساعة تشير إلى الساعة الثانية بعد الزوال،التحق الجنرال "كيوم" بالقصر الملكي بالرباط، وطُلب من الملك الانصياع لقرار الحكومة الفرنسية القاضي بتنازله عن العرش والإقامة مع أسرته معزّزا مكرّما، فكان ردّ الملك بأنّ هذا القرار غير مقبول وأنّه إذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر الدفاع عن الحرية والديمقراطية جريمة يعاقب عليها فيقول السلطان "محمد بن يوسف":"...أعتبرها فضيلة وأفتخر بها فاستطرد "غيوم" يقول:"...عن حالتكم إذا لم تتنازلوا عن العرش لن تكون هي الحالة إذا تنازلتم " فقال السلطان:" إنّني الملك الشرعي ولن أخون الأمانة التي ائتمنني عليها شعبي وفرنسا دولة قوية فلتفعل ما تشاء"[53].

وعلى إثر رفض السلطان التنازل عن العرش تقدّم إليه ضابطان مسلّحان، وقاداه إلى سيارة مصفحة كانت تنتظر خارج القصر، ثم اقتيد وإلى جانبه إبناه الحسن و عبد الله، وكان القصر محاصرا، وجرد الحرس من سلاحه ورفعوا أيديهم مولّين وجوههم نحو الحائط، وفي المطار العسكري للسويسي، صعد السلطان وأبناءه في طائرة عسكرية من نوع "دس 3"، وبعد سبع ساعات جوا حطت الطائرة في "أجاكسيو"، واستقبل السلطان هناك من قبل حاكم البلدة الذي وصل من باريس" أنّ ثورة قامت على سلطان المغرب، وأنه احتراما لمعاهدة الحماية، التي تنص على الحفاظ على حياة السلطان، تقرّر بعثه إلى "كورسيكا" في انتظار رجوع الحالة إلى سابق عهدها "[54]. وبعد أن قضى

[51]- عاشور لبابة، دور المقاومة المغربية في تأجيج ثورة الملك والشعب، ندوة الجامعة الصيفية، الذكرى الذهبية لثـورة الملك والشعب الجذور والامتدادات 20 أوت 1953 – 20 أوت 2003، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، مطبعة الأمية، الرباط، 2004، ص ص 151 – 152 .

[52]- محمد العلمي، المصدر السابق، ص 81 .

[53]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص ص 56-66 .

[54]- الحسن الثاني، ذاكرة ملك، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، (د.ت)، ص 15.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

السلطان "محمد بن يوسف" وعائلته خمسة أشهر بجزيرة "كورسيكا" قرّرت فرنسا في 29 يناير 1954 نقله إلى "تنتاريف" عاصمة مدغشقر[55] ليعيش منفيا في مدينة "انتسرابي"[56].

وكانت إدارة الحماية بتعيين "ابن عرفة" تظن أنّها سيطرت على الوضع بالمغرب ضمنت إلى جانبها سلطانا منقادًا، لأنّها كانت تبحث عن سلطان صوري، غير أنّ الإقامة العامة غيّبت من حساباتها إرادة الشعب التي لا تقهر، ومن الفرنسيين المتبصرين بالسياسة من كان يرى الأمور في اتجاهها الصحيح، وأنّ خلع السلطان سيعمل على التعجيل بنهاية الوجود الفرنسي في المغرب الأقصى[57].

5. رد فعل الشعب المغربي على نفي محمد بن يوسف (محمد الخامس):

فكان أول رد فعل على نفي السلطان هو رد فعل الحركة الوطنية في القاهرة وجاء ذلك على شكل نداء قدّمته إذاعة القاهرة، بعد ساعات قليلة من عزل السلطان سمّي نداء القاهرة ألقاه "علال الفاسي"[58].

كما تجدر الإشارة إلى أنّه يمكن اعتبار نفي "محمد بن يوسف" بداية نهاية الحماية بالمغرب الأقصى، وذلك أنّ الفرنسيين كانوا يستخفون "بمحمد بن يوسف" وبحزب الاستقلال، بل إنّ من الفرنسيين الاستعماريين من ظل يستخف بشعبيتهما حتى بعد اندلاع ثورة الملك والشعب وانطلاق العمل الفدائي، إذ اعتبر السلطان لا يتمتع بشعبيته بين رعاياه، لكونه لم يجد إلى جانبه في الوقت الحاسم سوى أفراد حزب الاستقلال القليلي العدد[59].

والواقع أنّ نفي "محمد بن يوسف" كان خطأ سياسيا لكون خلع السلطان في المنظور الإسلامي لا يجوز بشروط جد محددة، وهو ما لا يتوفر في "محمد بن يوسف" الذي كان الشعب يجمع على شرعيته إذا استثنينا "الكلاوي" وأشياعه وهم جماعة قليلة لا تعبر عن رأي الأمة المغربية، إضافة إلى أنّ التوقيت الذي تم فيه النفي هو يوم حافل بالدلالات في المنظور الإسلامي فقد تصادف مع ليلة عيد الأضحى، إذ اعتبر نفيه في هذا اليوم تعطيلا لسنّة من السنن المهمة بالنّسبة للمسلمين، وهو ما أثار

---

[55]- محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، ط 1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ، الرباط، 2013، ص 37.

[56]- مدينة انتسرابي تبعد عن العاصمة تنتاريف بـ 170 كم، كانت في ذلك الوقت تقطع خلال ثلاث ساعات بالسيارة، كما أنّ هذه المدينة مشهورة بمياهها المعدنية، وهي تحتوي على شوارع واسعة ومنظّمة تنظيما حسنا، وتتميز بالمناخ المعتدل وجمال المناظر وتنعتها الدلائل السياحية "بجوهرة المحيط الهندي" التي تحتوي على عشرات العيون للمياه المعدنية، أنظر محمد العلمي، المصدرالسابق،ص ص 84 – 85.

[57]- روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى وفاته، ط 3، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص ص 82 – 83.

[58]- علال الفاسي، نداء القاهرة، ط3، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، المغرب، 2013، ص ص 35 – 36.

[59]- حسنة مازي، نفي السلطان محمد بن يوسف والعمل الفدائي، ندوتان علميتان حول محمد الخامس والكفاح الوطني من أجل الاستقلال، ثقافة الوطنية في خدمة المواطنة، منشورات لمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، تازة في 20 نوفمبر 2005، الرباط 16 نوفمبر 2005، الرباط، المغرب، 2005، ص ص 76 – 77.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

غضبهم، أضف إلى ذلك أنّه من المعمول به أن تقام صلاة الجمعة باسم السلطان، وبما أنّها أصبحت تقام باسم "ابن عرفة "، فقد أُفرغت المساجد من المصلين بل أكثر من ذلك قاطع الناس المتردّدين عليها، وما كان لإدارة الحماية أن تُرغم النّاس على الذهاب إلى المساجد للصلاة باسم "ابن عرفة" لكون المغاربة كانوا يعتبرونه سلطان الفرنسيين ولا يمكن أن يكون سلطانهم[60].

وفي نفس السياق بدأت المحاولات لقتل "ابن عرفة" منذ الأيّام الأولى بعد النّفي في 21 أوت بالرباط و 28 أوت بمكناس، ومنذ عزل السلطان كانت المؤامرات تحاك يوميا وتتصاعد بوثيرة مقلقة من 06 إلى10 مرات في بعض الأيّام، وكانت تستهدف بشكل يكاد يكون خاصا البوليس والمخبرين المغاربة وتحدث فقط في المدن[61]، وفيما بين 20 أوت 02 أكتوبر 1953، رصدت الأجهزة وقوع 45 عملية عنف منها 08 اغتيالات و09 حرائق و12 عملية تخريب ومعظمها في الدار البيضاء[62].

أصيب الشعب المغربي إثر نفي سلطانه الشرعي "بصدمة عنيفة "[63]،وهو ما أدّى إلى رد فعل عنيف على قدر الصدمة التي أصيب بها، فاختار المغاربة العمل المسلح كرد فعل على الاعتداء على رمز أمّتهم، وبما أنّهم لم يكونوا يمتلكون أسلحة في مستوى ما يتوفر عليه العدو فقد قرروا خوض معركة من نوع خاص تلائم مؤهلاتهم التي لم تكن سوى أرواحهم المتمرّدة الثائرة، ولم يكن للفدائيين أو كما سمّاهم "دانيال ريفي" بمحاربي الظّل " les combattants de l'oubre " هدف سياسي أو أطماع مادية من قيّامهم بالعمليات الفدائية بل كان هدفهم الأساسي هو إنصاف سلطانهم بإرجاعه لعرشه[64].

وهكذا خاض المغاربة حملة كانت عناصرها الأساسية التخريب والمقاطعة والهجوم على الأفراد، فتمّ وصفها من قبل المعمّرين بأنّها عمليات إرهابية، لكنّها في واقع الأمر كانت حرب تحرير بالأساليب المتوفّرة لدى شعب سلبت حريته وسلطانه، وكانت مدينة وجدة سبّاقة للثورة إثر نفي السلطان، والواقع أنّ السلطان "محمد بن يوسف" لم يحرّض الشعب على العمل الفدائي أو المقاومة بل إنّ العمل الفدائي اختيار شعبي، ذلك أنّ الشعب هو العنصر الذي لم تفكر إدارة الحماية إبان نفي السلطان فيه بجدية، ولم تكن تتوقع أن يشن عليها حربا من هذا النوع خاصة وأنّ إدارة الحماية كانت متأكّدة من تفوقها العسكري[65].

لقد كان عزل الملك الشرعي للبلاد الفتيلة التي أججت نار الغضب في نفوس المغاربة على الاستعمار وأذنابه وآمنوا أن لا خطة إلا المقاومة، فتأسست خلايا المقاومة الشعبية السرية وغدت

---

[60] - Charle André Julien, la guerre d'Algérie et les Algériens (1954-1962), Armand Colin, Paris, 1997..P334

[61] - زين العابدين العلوي، المرجع السابق، ص 316 .

[62] - Stephan Bérnard, le confit fronco-marocain 1945-1956, volume 3,Bruxelles,T1 ,1963 ,388-389.

[63] - روم لاندو، المرجع السابق، صص86-87

[64] - Daniel Reveb, le maroc de lyautey à Mohamed 5 ,le double visage protoctora, Editionsdonoel,paris,1999,pp388-389.

[65] - حسنة مازي، المرجع السابق، ص ص 77 – 78.

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

تقلق مضاجع المعمرين ومن سار في ركابهم من العملاء[66]، ولأنّ "ابن عرفة" كان على رأس المتعاونين، وقد تعرّض لمحاولتي اغتيال، مرة على يد "علال بن عبد الله" التي اعتبرت محاولة "الانطلاقة نحو الهدف"[67]، والمرّة الثانية في 24 أكتوبر 1954 في مدينة مراكش عندما ألقى أحد الفدائيين قنبلة أثناء صلاة الجمعة عليه[68]، كما استهدفت العمليات الفدائية أنصار "الكلاوي" مدبر مؤامرة خلع السلطان، ورؤوس المتعاونين مع الاستعمار، وكذلك أهم المعمرين بالمغرب الأقصى بدءا من المقيمين العامين وكبار موظفي الإقامة العامة، وبدأ الناس يتحدّثون عن يد سوداء خفية تحصد رؤوس المعمرين المتعاونين معهم دون أن تتمكّن قوات الأمن من ضبطها[69].

وفي نفس السياق فقد أصبحت أعمال الفداء شيئا مألوفا وعاديا، ويوم 24 ديسمبر 1954م، فجّر الفدائي "ابن موسى الريضي" قنبلته في السوق المركزي بالدار البيضاء والتي أوقعت عددا كبيرا من القتلى والجرحى، ممّا جعل الفرنسيين يصل بهم الهوس إلى حد الحمق حيث اليوم عندهم الاحتفال بعيد المسيح عليه السلام، حتى قال الفرنسيون: "...إنّ هؤلاء لم يراعوا المناسبة، ولم يحترموا مقام الاحتفال بالعيد، لكن الشعب المغربي ردّ عليهم: "هذا يوم بيوم، وهذه بتلك، لأنّكم اخترتم يوما لاعتدائكم أيّام أعيادنا يوم عرفة ويوم عيد الأضحى..."[70].

أصبح العمل الفدائي الحل الذي يفكّر فيه المغاربة، وكان الدافع للقيام به هو ما أصبح يعرف باليوسفية التي أصبحت المحدد الأساسي للفدائيين الذين أضحى ارتباطهم بالوطن متجسّدا في رمز أمّتهم "محمد بن يوسف"، وأضف إلى العمل الفدائي حملات التخريب والتضييق الاقتصادي على المعمّر عن طريق مقاطعة المنتجات الفرنسية ونسف المحلّات التي تتاجر فيها سواء التي كانت في ملكية المغاربة أو الفرنسيين وكذلك إتلاف المحاصيل، ولم يكن التخريب يستهدف المحاصيل الزراعية فقط بل كل ما يتصل بمصالح المعمرين من مباني، ومكاتب، وسيارات، وقطارات السكة الحديدية ومحلات تجارية، فكل ما كان في ملكية الفرنسيين أصبح عرضة للتخريب، وهو إدراك من المغاربة للهدف الاقتصادي للمعمّر، فإنّه متى استطاع الشعب المغربي أن يجعل المعمّر لا يُحقّق ربحا من وجوده في المغرب، فإنّه لا محالة سيرحل عن البلد[71].

---

[66]- عبد الصمد العشاب، 20 غشت 1953، محطة في تاريخ المغرب لإنتاج الأبطال وانجاز جلائل الأعمال، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الرباط، المغرب، 2003، ص 130.

[67]- عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية ...حتى استرجاع الصحراء، ط 3، الجزء الثاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 172 .

[68]- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ط 2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980، ص 374 .

[69]- Charle André Julien, op,cit, PP 341 – 345.

[70]- محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي، محمد الخامس محطة من محطات المغرب الحديث و 20 غشت قنطرة من قناطير العبور إلى الحرية و الإنعتاق، مجلة الذاكرة الوطنية،عدد خاص، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الرباط، المغرب، 2003، ص ص 173 – 174 .

[71]- حسنة مازي، المرجع السابق، ص ص 78 – 79 .

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

غير أنّ فرنسا عملت جاهدة كل ما في وسعها أن تقضي على هذه المقاومة، وأن تجعل لها حدا بإصدار الأحكام القاسية على كل من يقع في يدها من هؤلاء المقاومين بالإعدام أحيانا وبالسجن الطويل الأمد أحيانا أخرى[72]، ولكن هذه السياسة المتشدّدة التي فرضتها إدارة الحماية بالمغرب الأقصى، لم تزد المغاربة إلا قوة وإيمانا بعدالة قضيتهم فرفعوا من وثيرة عملياتهم الفدائية بحيث لم يعد يمر يوم دون تسجيل عملية فدائية[73].

وفيما بين أوت 1953 وديسمبر 1954، أي في غضون سبعة عشر شهرا كانت مصالح الأمن قد سجّلت 1991 حادث عنف مرتبط باندلاع الأزمة التي فجّرها نفي "محمد بن يوسف" أي بمعدل 117 حالة في الشهر، وهذا على الرغم من صدور أحكام بالإعدام والسجن في حق الكثيرين، فإنّ جو الاضطراب والحذر ظل مسيطرا على البلاد طيلة سنة1954[74].

كما تجدر الإشارة إلى أنه قد دوى حدث نفي السلطان في العالم العربي، إذ بعد ثلاثة أيام من النّفي، وقعت اتّصالات بين العواصم العربية، وأرسل الأمين العام المساعد للجامعة العربية برقيات إلى تلك العواصم يُعلمها بما جرى في المغرب الأقصى، وقام الأمين العام للجامعة باتصالات لتقرير قطع العلاقات مع فرنسا[75].

كانت أوضاع المغرب الأقصى والمقاومة المسلحة إضافة إلى الضغط الخارجي من أهم الأسباب التي أدّت بحكومة الحماية إلى محاولة إيجاد حل للمسألة المغربية، فدعت إلى عقد مؤتمر "إيكس ليبان" للنّظر في القضية المغربية غير أن الممثلين للشعب المغربي، بهذا المؤتمر رفضوا أي تفاوض دون رجوع الملك إلى البلاد، وأعلن حزب الشورى و الاستقلال وحزب الاستقلال تصميمهما على عدم المشاركة في أيّة تشكيلة حكومية تُؤلّف في عهد ابن عرفة، فأُرغمت الحكومة الفرنسية على قبول عودة السلطان من منفاه[76].

ومن خلال هذا يتّضح أنّ نفي السلطان "محمد بن يوسف" كان الحدث الذي عجّل بنهاية الحماية بالمغرب الأقصى، فمنذ 20 أوت 1953 وانطلاق ثورة الملك والشعب لم يذق المعمّرون طعم الراحة ولا أصبحوا يشعرون بالأمن سواء على ممتلكاتهم أو أرواحهم، وإذا كان الاستعمار قد تمكّن من إخضاع المقاومة المسلحة التي اندلعت بالمغرب عبر وسائل غير مشروعة كاستعمال الغازات السامة، ونهج سياسة الأرض المحروقة وإتلاف المحاصيل، وغيرها من أساليب التجويع، فإنّ المقاومين المغاربة

[72]- محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي، المرجع السابق، ص 174.
[73]- حسنة مازي، المرجع السابق، ص 79 .
[74]- محمد العربي المساري، المرجع السابق، ص 107.
[75]- زين العابدين العلوي، المرجع السابق، ص 316 .
[76]- حسنة مازي، المرجع السابق، ص 80 .

المجلد: 12/ العدد: 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

قد ردّوا على المعمّر بنفس أسلوبه في المواجهة، فكان العمل الفدائي وعمليات التخريب هما المعركة الفاصلة مع الاستعمار.

6. رد فعل اسبانيا على نفي محمد بن يوسف :

الجدير بالذكر بما أنّ اسبانيا كانت تشارك فرنسا في فرض الحماية على المغرب فهي كذلك كان لها مواقف من نفي السلطان "محمد بن يوسف"، حيث جاء أول تعبير للموقف الإسباني بعد خمسة أيّام من النفي، وذلك بمناسبة مثول المندوب السامي الإسباني أمام الخليفة للتهنئة بمناسبة عيد الأضحى في 25 أوت 1953، حيث عبر الجنرال "باليو" في خطابه عن استياء اسبانيا من الأحداث التي تمت في إطار تجاهل اسبانيا وبدون استشارتها [77]، وذلك ما اعتبرته اسبانيا تجاوزا مهينا لها معتبرة أن ذلك عملا فرديا وتحديا سافرا[78].

وفي نفس السياق قال الجنرال "باليو": "...ولا يسع اسبانيا إلاّ أن تبقى وفية للمعاهدات الدولية إلى جانب الشعب المغربي الشقيق ..."، وقال أيضًا: " ...إنّه إذا كان مركز الجاذبية المادّي هو حاليا في المنطقة الفرنسية فالمنطقة الإسبانية هي مركز الجاذبية السياسي والروحي" [79]، كما " أعلن المندوب السامي براءة منطقته تماما من هذا الانقلاب، كما قرّر أنّه ما دامت فرنسا قد انفردت بالتصرّف ولم تشأ أن تُبلغ اسبانيا خطّتها، فهي بذلك قد قضت على السياسة الموحّدة القائمة بين المنطقتين"، وربّما أنّ اسبانيا لم تقبل الاعتراف بعزل "محمد بن يوسف" ونفيه، فقد ظل خليفته في تطوان يمثله في القسم الشمالي التابع لإسبانيا، وتواترت أخبار مفادها أن "فرانكو" يمكن أن يمنح السلطان ملجأ في المنطقة الإسبانية ممّا جعل الأوساط الفرنسية في الإقامة العامة تتخوف من أن يعلن خليفة السلطان نفسه وصيا على العرش، والقيام مقام السلطان المنفي إبان غيابه، ولعل هذا التخوف هو ما دفع وزير خارجية فرنسا "بيدو" "Bidault" إلى استدعاء السفير الإسباني بفرنسا وطلب توضيحات بسبب ما يروّج من شائعات، خصوصا وأنّ الأسابيع الأولى من سنة 1954 جاءت بكثير مما لم تكن تتصوره فرنسا، فقد عرفت المنطقة في بداية هذه السنة تحركات مهمة إذ "وصل إلى تطوان عدة قواد وباشوات ورؤساء القبائل مصحوبين بوفود مختلفة، وضربت خيام في ضواحي المدينة لإيواء حاشية هؤلاء الرؤساء المغاربة"[80].

كما سعت اسبانيا إلى خلق جو من الانفراج في المنطقة الخاضعة لها فأرّخت قبضتها على الحدود، وأصبح الوطنيون يجدون في المنطقة الإسبانية ملجأ دون أن يتم تسليمهم إلى السلطات

---

[77]- محمد العربي المساري، بناء علاقات إيجابية مع اسبانيا كان من مستلزمات التحضير لمرحلة ما بعد 20 أوت 1953، مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، الرباط، المغرب، 2003، ص 120.

[78]- الحسين برادة، المصدر السابق، ص 71.

[79]- محمد العربي المساري، بناء علاقات إيجابية مع اسبانيا كان من مستلزمات التحضير لمرحلة ما بعد 20 أوت 1953، ص 120.

[80]- زين العابدين العلوي، المرجع السابق، ص 323.

المجلد : 12/ العدد : 02 / الشهر: أوت/ السنة: 2020 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الفرنسية،وأصدر المندوب" باليني"عفوا عن كثير من السجناء، وتلت ذلك مراسيم بإسناد مناصب مهمة إلى الوطنيين بالمنطقة.

ومن خلال موقف اسبانيا هذا، فإنه لم يخلو من نوايا مبيتة، تحمل في طيّاتها مشروعا توسّعيا يهدف إلى مد نفوذها إلى فاس وتنصيب الخليفة السلطاني "مولاي الحسن بن المهدي" ملكا شرعيا هناك، وهذا للضغط على فرنسا من أجل الحد من نشاط الجمهوريين الإسبان المقيمين بفرنسا والمعارضين للنّظام الفرنكاوي ومنهم من التسرّب من فرنسا إلى اسبانيا، ويتبيّن أنّ المواقف الرافضة التي أفصحت عن الحركة الوطنية المغربية لخليفة "مولاي الحسن بن المهدي"، وتضامن الشعب المغربي أجهضت المشروع الاستعماري الإسباني المبيت، وحالت دون تشتيت وحدة البلاد وتشرذمها، بينما بقيت المنطقة متنفّسا كبيرا للحركة الوطنية والمقاومة المسلحة وعمليات جيش التحرير المغربي.

خاتمة:

وفي الأخير نقول أنّ محمد بن يوسف عرف كيف يقود شعبه بصفته سلطانهم وملكهم، كما عرف خلال عهد الحماية كيف يدعم وحدة الشعب للوقوف في وجه الاستعمار نتيجة السياسة الاستعمارية التي أدّت إلى استياء وتذمر الشعب المغربي، وخاصة الفئة الواعية منهم، وهو الأمر الذي أدى بالسلطات الفرنسية للبحث عن كيفية للتخلص منه، حيث قامت بمؤامرة ضدّه، فكان نفي السلطان وإبعاده في 20 أوت 1953، وبالتالي كان لنفي السلطان وعائلته وقع كبير في نفوس الشعب المغربي، فربط هؤلاء كفاحهم الوطني (الاستقلال) برجوع الملك، فكانت عودته في 30 أكتوبر 1955.